سورة الإنشقاق

مكية، وآياتها ٢٥

[نزلت بعد الانفطار]/ ٢/ ٢٥٨أ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾

حذف جواب إذا ليذهب المقدّر كل مذهب أو اكتفاء بماعلم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دلّ عليه (فملاقيه) أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه. ومعناه: إذا انشقت بالغمام، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: تنشق من المجرّة أذن له: استمع له[١]. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبّي يتغنى بالقرآن» (١٧٢٦). وقول حجاف بن حكيم [من الطويل]:

أَذِنْتُ لَكُمْ لَمَّا سَمِعْتُ هَرِيرَكُمْ[٢] . . . . . .

والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه

١٧٢٦ ـ تقدم في سورة إبراهيم. قال الحافظ: متفق عليه، وقد تقدم في سورة إبراهيم. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معنى أذنت استمعت... إلخ» قال أحمد: نغص تفسير الآية بقوله: القادر بالذات وما باله لا يقول: القادر الذي عمت قدرته الكائنات، حق لا يكون إلا بقدرته: حقيق أن يسمع له ويطاع. فيثبت لله صفة الكمال. ويوحده حق توحيده: وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى وإشراك مخلوقاته به ـ جل ربنا وعز ـ.

(٢) أذنت لكم لما سمعت هريركم فأسمعتموني بالخنا والفواحش

لحجاف بن حكيم. وأذنت: أصخت وأصغيت بأذني لكلامكم حين سمعت صوتكم، وضمن أسمعتموني معنى: أعلمتموني، فعداه بالباء. ويجوز أنها زائدة. والخنا: الزنا وتوابعه مما يتعلق بالنساء، والفواحش: أعم من ذلك.

ينظر: البحر ٨/ ٤٤٥، الدر المصون ٦/ ٤٩٧.

الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع، كقوله: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿وَحُقَّتْ﴾ من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. ومعناه الإيذان بأنّ القادر الذات[1] يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك ﴿مُدَّتْ﴾ من مدّ الشيء فامتدّ: وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها، حتى تمتدّ وتنبسط ويستوي ظهرها، كما قال تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٦ ـ ١٠٧]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مدّت مدّ الأديم العكاظي؛ لأن الأديم إذا مدّ زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مدّه بمعنى أمدّه، أي: زيدت سعة وبسطة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت غاية الخلوّ حتى لم يبق شيء في باطنها، كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلوّ، كما يقال: تكرم الكريم، وترحم الرحيم: إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة، وتكلفا فوق ما في طبعهما ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

الكدح: جهد النفس في العمل والكدّ فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده: إذا خدشه ومعنى ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ جاهد إلى لقاء ربك، وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ فملاق له لا محالة لا مفرّ لك منه، وقيل: الضمير في ملاقيه للكدح ﴿يَسِيرًا﴾ سهلاً هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: هو أن يعرّف ذنوبه، ثم يتجاوز عنه. وعن النبي ﷺ أنه قال: «من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله: فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا. قال: ذلكم العرض، من نوقش في الحساب عذب» (١٧٢٧) ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ إلى عشيرته إن

١٧٢٧ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٧١٠) في تفسير سورة «إذا السماء انشقت» الحديث (٤٩٣٩) ومسلم (٩/ ٢٢٥ ـ نووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب الحديث (٢٨٧٦).
وأبو داود (٢/ ٢٠١) في الجنائز، باب عبادة النساء الحديث (٣٠٩٣) والترمذي (٥/ ٤٣٥) في =

---

(١) قوله: «الإيذان بأن القادر بالذات» هذا التعبير مبني على مذهب المعتزلة من أنه تعالى قادر بذاته لا بقدرة زائدة على ذاته، عالم بذاته لا بعلم زائد على ذاته. ومذهب أهل السنة: أنه قادر بقدرة زائدة على ذاته، عالم بعلم زائد على ذاته. وهكذا، كما في الحوادث.

كانوا مؤمنين. أو إلى فريق المؤمنين. أو إلى أهله في الجنة من الحور العين ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قيل: تغلّ يمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره، ﴿يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ يقول: يا ثبوراه. والثبور: الهلاك. وقرئ: ويصلى سعيرًا، كقوله: ﴿وَنَصْلِيَهُ جَحِيمًا ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٤]، ويصلى: بضم الياء والتخفيف، كقوله: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ فيما بين ظهرانيهم: أو معهم، على أنهم كانوا جميعًا مسرورين، يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرًا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب. ولم يكن كئيبًا حزينًا متفكرًا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبًا بالمعاد. يقال: لا يحور ولا يحول، أي: لا يرجع ولا يتغير. قال لبيد [من الطويل]:

. . . . . يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ[1]

وعن ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حوري، أي: ارجعي ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد النفي في ﴿لَّن يَحُورَ﴾ أي: بلى ليحورنّ ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه، فلا بدّ أن يرجعه ويجازيه عليها. وقيل: نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشدّ وأخيه الأسود بن عبد الأشد.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء، إلا ما يروى عن أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ في إحدى الروايتين: أنه البياض. وروى أسد بن عمرو: أنه رجع عنه، سمي لرقته. ومنه الشفقة على الإنسان: رقة القلب عليه ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع وضم، يقال: وسقه فاتسق واستوسق. قال [من الرجز]:

= التفسير، باب ومن سورة «إذا السماء انشقت» الحديث (٣٣٣٧).

وأحمد في المسند (٦/ ٤٧، ١٠٨، ١٢٧، ٢٠٦) وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٦٩ ـ ٣٧١) رقم (٧٣٦٩، ٧٣٧٠، ٧٣٧١).

وابن جرير في التفسير (١٢/ ٥٠٧) رقم (٣٦٧٣٠ ـ ٣٦٧٣٧) والبغوي في شرح السنة (٧/ ٤٨٨) رقم (٤٢١٤ ـ بتحقيقنا) قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة ـ انتهى.

---

(١) تقدم.

مُسْتَوْسِقَاتٌ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقَا[1]

ونظيره في وقوع افتعل/ ٢/ ٢٥٨ب واستفعل مطاوعين: اتسع واستوسع. ومعناه: وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها ﴿إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. قرئ: لتركبن، على خطاب الإنسان في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ولتركبن، بالضم على خطاب الجنس، لأن النداء للجنس؛ ولتركبن بالكسر على خطاب النفس، وليركبن بالياء على: ليركبن الإنسان. والطبق: ما طابق غيره. يقال: ما هذا بطبق لذا، أي: لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء الطبق. وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق. ومنه قوله عز وعلا ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي حالاً بعد حال: كل واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول: ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات. ومنه: طبق الظهر لفقاره الواحدة: طبقة، على معنى: لتركبنّ أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها. فإن قلت: ما محل عن طبق؟ قلت: النصب على أنه صفة لطبقًا، أي: طبقا مجاوزًا لطبق. أو حال من الضمير في لتركبنّ، أي: لتركبن طبقًا مجاوزين لطبق. أو مجاوزًا أو مجاوزة، على حسب القراءة: وعن مكحول: كل عشرين عامًا تجدون أمرًا لم تكونوا عليه.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يستكينون ولا يخضعون. وقيل: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رءوسهم وتصفر، فنزلت (١٧٢٨). وبه احتج أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ على وجوب

١٧٢٨ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٧٨) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

---

(١) إن لنا قلائصًا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

القلائص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. والحقائق: جمع حقة، التي استحقت الحمل عليها؛ أو استحقت ضراب الفحل. ويقال: وسقه فاتسق واستوسق، أي: جمع عليه الأحمال فتحمل، أو جمعه فاجتمع ومستوسقات: متحملات أو مجتمعات؛ وأو بمعنى إلى، أي: واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن فيسرن. ويروى: لو يجدن. وفيه معنى التمني. ويجوز أن جوابه مقدر، أي: لأسرعن:

ينظر: ديوانه ٢/ ٣٠٧، وتاج العروس (وسق)، ولسان العرب (وسق)، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٣٥، وديوان الأدب ٣/ ٢٨٣.

السجدة، وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها (١٧٢٩). وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن: هي غير واجبة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء. أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء منقطع.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره» (١٧٣٠).

١٧٢٩ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٤٩٧) كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء الحديث (٧٦٦) وأطرافه في (٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨).

ومسلم (٣/ ٨١ ـ نووي) كتاب المساجد، باب سجود التلاوة الحديث (٥٧٨): والنسائي (٢/ ١٦١) في الافتتاح، باب السجود في «إذا السماء انشقت».

والدارمي (١/ ٣٤٣).

وابن حبان في صحيحه (٦/ ٤٦٧) رقم (٢٧٦١) ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٥) كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، والبغوي رقم (٧٦٧).

وابن خزيمة في صحيحه رقم (٩٥٥).

قال الحافظ: متفق عليه بمعناه. انتهى.

١٧٣٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.